المحاضرة الرابعة

نظريات نشوء الدولة

الفصل الثاني
نظريات نشوء الدول وتطورها

النظرية هي الاطار العام الذي اوجده الباحثون لتفسير ظاهرة من الظواهر. وهو تعميم يضعه الباحث ليصف سلوك احد الظواهر، ويتمكن الباحثون من وضع مثل هذه التعميمات او النظريات لسلوك الظواهر نتيجة دراساتهم المتكررة لها. وينطلق الباحثون في دراساتهم للظاهرات من فرضيات او تخمينات ذكية لسلوك الظاهرات. فاذا صدق هذا التخمين، وثبت صحة الفرضية في اكثر من دراسة لنفس الظاهرة، فان تلك الفرضية تتحول الى نموذج يمكن ان يحتذي به الباحثون ويحاولوا تطبيقة على ظاهرات مشابه في اماكن اخرى في العالم. واذا نجح تطبيق ذلك النموذج على المستوى العالمي، فان هذا النموذج قد يتحول الى نظرية لها ثقلها، واهميتها في تفسير الظاهرات المشابه اينما وجدت. وفي العلوم الطبيعية قد تتحول تلك النظريات الي قوانين، هي اعلى المراتب التي يمكن ان يتوصل اليها البحث العلمي.

وفي مجال الجغرافية السياسية تمكّن العلماء من تطوير نظريات تفّسر مراحل نشوء الدول وتطورها وسلوكها. اي ان معظم دول العالم نشئت ونمت وتطورت وفقا للخطوط العريضة لواحدة من هذه النظريات. فأصحاب او اتباع نظرية ما يؤمنون ان الدول، او عددا منها لا بد وانه نشأ ونما وتطور وفقا للخطوط العريضة التي وضعتها نظريتهم. وهم في ذلك لا ينكرون التباين في ظروف نشوء هذه الدولة او تلك، غير انهم يؤمنون بان الخطوط العريضة التي وضعتها نظريتهم لا بد وان تنطبق ولو في بعض جرئياتها على العديد من الدول. هذا الايمان هو الذي ارتقى بالنتائج البحثية التي توصلوا اليها الى مرتبة النظرية. وفيما يلي سنعرض الى اهم تلك النظريات:

اولا. نظرية الدولة ككائن حي Organic State Theory

يرتبط ظهور هذه النظرية بنظرية اصل الانواع ومبدأ الحتمية البيئية التي اوجدها داروين. فقد ظهر مبدأ الحتمية اول ما ظهر في كتاب عالم البيولوجيا تشارلز داروين Darwin "اصل الأنواع" Origin of Species، الذي نشره عام ١٨٥٩. وفيه ركّز على الصراع بين الكائنات الحية من اجل البقاء. وقد آمن داروين ان البقاء لا بد وان يكون دائما للأفضل والأقوى. وقد أدى انتشار افكار داروين في العلوم الاجتماعية الى ظهور ما اصبح يسمى بـ الداروينية الاجتماعية Social Darwinism.

وفي الجغرافيا ظهرت الحتمية البيئية التي تبناها بعض اعلام الجغرافيا في العالم من امثال الباحثة الجغرافية الن تشرشل سمبل Ellen Churchill Semple، والجغرافي الامريكي الس ورث هانتنجتون Ellsworth Huntington ، والجغرافي الاسترالي جرفث تيلر Griffith Tayler، والجغرافي الالماني فردريك راتزل Friedich Ratzel ، والفرنسي كارل ريتر Carl Riter ...الخ. وقد سيطرت الحتمية البيئية على البحث الجغرافي في الفترة الممتدة بين ١٨٨٠ و ١٩٢٥، حيث سيطرت على البحث الجغرافي خلالها فكرة ان الانسان اضعف من ان يسيطر على البيئة التي يعيش فيها، وانه في النهاية لا بد وان يتأقلم معها.

وقد تعرضت الحتمية البيئية الى هجوم عنيف من قبل بعض الجغرافيين، بدأ يتنامى الى ان وصل ذروته في الخمسينيات من القرن الماضي. ورغم ان الجغرافي كارل ساور اظهر اهمية الصفات الحضارية للانسان في التأثير على قدراته في تغيير البيئة الطبيعية التي يعيش فيها، غير ان افكاره بقيت متأثره بالحتمية البيئية. حيث اورد عدد من الشروط الطبيعية التي يجب ان تتوفر بالبيئية الطبيعية حتى تتمكن من دعم قيام الحضارات. وخاصة بالنسبة لمواطن الحضارات القديمة التي تم فيها اكتشاف الزراعة. غير ان تلميذه برستون جيمس Preston James، الذي خلفه في قيادة مدرسة الجغرافيا الحضارية في جامعة بيركلي في ولاية كاليفورنيا، برهن بشكل اوضح اهمية الحضارة، والصفات الحضارية للانسان في عملية التفاعل بين الانسان والبيئة. وان العلاقة بينهما لا يمكن ان تكون حتمية. وركز على اهمية الصفات الحضارية الممثلة بالمواقف والاهداف والتقنيات الحضارية المستخدمة في تغيير معالم

سطح الارض. كما اكّد الجغرافي الامريكي درونت ويتلسي Derwent Whittlesey على أهمية العناصر الحضارية واختلافها في طرق التعامل مع البيئة، وان البيئة الطبيعية لا تحكم الانسان.

وفي الجغرافيا السياسية، وفيما يتعلق بنشوء ونمو وتطور الدول، كان للحتمية البيئية الأثر الكبير في تحديد طبيعة العلاقة بين البيئة والدولة. فقد ركّزت الدراسات على ان نمو الدول محكوم بالظروف الطبيعية، وانه يستحيل على الدول تحدي تلك الظروف. فالظروف الطبيعية الجغرافية لبريطانيا مثلا، والممثلة بوجود موانئ بحرية جيدة، وتوفر الاخشاب التي مكنتها من صنع السفن، ادى الى توجيه سياسات بريطانيا نحو العالم الخارجي ونحو الاستعمار. وان انتشار السلاسل الجبلية في اليابان، وموقعها البحري، وفقر مناطقها الداخلية، وقلة الأراضي الزراعية فيها، ادى الى اتجاه اليابانيين نحو البحر. وقد تكللت محاولات ربط نمو وتطور الدول بالظروف البيئية الطبيعية بظهور نظرية الدولة كالكائن الحي.

وقد كان الجغرافي الفرنسي كارل ريتر اول من شبّه الدولة بالكائن الحي، غير ان الجغرافي الألماني فردريك راتزل (١٨٤٤-١٩٠٤)، هو من طوّر هذا التشبيه الى نظرية. وقد تأثر راتزل الذي عمل استاذا للجغرافيا في جامعة ليبزق Leipzig في المانيا بنظرية اصل الانواع لتشالز داروين التي ظهرت عام ١٨٥٩، خاصة وانه قد درس الاحياء والكيمياء. كما تأثر بالحتمية الاجتماعية التي سيطرت على العلوم الاجتماعية منذ ظهور افكار داروين وحتى العقد الثاني من القرن الحالي. ويؤمن اتباع الحتمية الاجتماعية ان الانسان عنصر مسيطر عليه من قبل البيئة، وان قدراته محدودة امام قوة وسلطان الطبيعة. ولذلك فان مهمة الانسان في حياته هو ايجاد طرق ووسائل للتأقلم مع الظروف البيئية التي تحكمه.

ويرى راتزل الذي وضع اسس نظرية نشوء وتطور الدول، ان الدول تشبه الى حد بعيد الأنسان، او الكائن الحي في مراحل تطوره من خلال التعرف على العناصر الجغرافية التي اسهمت في قيام وزوال الدول الأوروبية. وتنص نظرية راتزل التي نشرها في كتاب بعنوان (الجغرافيا السياسية)، على ان الدول تشبه الكائن الحي (الانسان). فالانسان يعيش على الارض ويتقيد بقانون الطبيعة التي تسيطر على تقدمه. والدولة كالكائن الحي لا تنشأ ولا

تستمر في المناطق الصحراوية او القطبية القاسية. والدولة كالكائن الحي تتغذى، وغذاءها المصادر الطبيعية، التي تتنافس عليها الدول، كما تتنافس الكائنات على الغذاء. وترى النظرية ان الدولة يجب ان تنمو، والا ستموت. ولذلك فالدول تمر بمراحل تشمل مرحلة الطفولة، والشباب، والشيخوخة، تماما كما الأنسان، وبعد ذلك اما ان تموت او تنتقل من جديد الى المراحل الاولى.

وقد حدّد راتزل في مقالة نشرها عام ١٨٩٦، بعنوان "قوانين النمو الارضي للدول" The Law of Spatial Growth of States سبعة قوانين لنموها هي:

١. تنمو الدول جغرافيا اذا زاد عدد سكانها، وتتسع حدودها مع ارتفاع معدلات الزيادة السكانية. وتنمو الدول التي ينتمي سكانها الى نفس الثقافة. ذلك ان انتمائهم وولائهم لتلك الثقافة يدفعهم الى توسيع نطاق سيطرة تلك الثقافة عن طريق توسيع حدود الدولة.

٢. الاتساع والنمو المكاني للدول، يتبع النمو والتطور الثقافي، والاجتماعي، والتطور الاقتصادي. فلا تتسع حدود الدول التي تشهد تخلفا اقتصاديا، اواجتماعيا، او ثقافيا.

٣. تتسع حدود الدولة عن طريق استيعاب وحدات سياسية اصغر. وغالبا ما تكون تلك الوحدات مجاورة لها من الناحية الجغرافية.

٤. تخوم الدولة هي اطرافها، وهي التي تعكس مدى قوتها. فمدى سيطرة الدولة على تخومها يعكس قوتها. فالدولة ذات التخوم والحدود القوية المحمية، هي التي تنمو وتتطور. وتخوم الدول ليست ثابتة لان اطراف الدول كاطراف الكائن الحي تنمو، ولذلك فهي ليست ثابتة.

٥. تتجة الدول خلال نموها نحو استيعاب الاقاليم ذات الأهمية السياسية والاقتصادية. وتهمل الأقاليم الفقيرة، التي لا تتمتع باية أهمية.

٦. الاتجاه نحو النمو والتوسع والرغبة في تحقيقه، ينتقل من الدول الكبرى المتطورة اقتصاديا، واجتماعيا، وسياسيا، الى الدول الصغيرة الاقل تطورا.

٧. الرغبة في التوسع الجغرافي والنمو المكاني للدول، هو اتجاه معدي يستشري اثره ويزداد تأثيره أثناء القيام به او بعد تحقيقه.

وقد آمن بهذه النظرية كثير من الجغرافيين ومنهم تلميذ راتزل، رودولف كيلين Rudolf Kjellen(١٨٦٤ – ١٩٢٢). وقد كان كيلين، الذي عمل استاذا للعلوم السياسية في جامعة اويسلا Uppsala في المانيا، معجبا بما كتبه راتزل في الجغرافيا السياسية عن الدولة. غير انه لم يكن على نفس الحذر الذي التزمه راتزل اثناء تشبيهه للدولة بالكائن الحي. ولذلك فقد عدّ الدولة كائن حي بالفعل يجري عليها ما يجرى على الكائن الحي. ومن هنا جاء عنوان كتابه "الدولة ككائن حي" The State as an Organisim عام ١٩١٦. واعتبر ان للدولة اعضاء كما الانسان، تشمل السكان، والبنية الاجتماعية، والبنية الاقتصادية، والبنية الطبيعية، والبنية الحكومية. ونظر كيلين الى العلاقة بين الدول على انها علاقة صراع وتنافس ورغبة في السيطرة. وعدّ عملية النمو المكاني للدول (اتساع الدول الكبرى والقوية) على حساب الدول الصغيرة والضعيفة عملية مشروعة. ولذلك فان العالم سينتهي بعدد قليل من الدول الكبيرة التي امتدت وتوسعت على حساب الدول الصغيرة. وتطلّع بشوق الى قيام دولة اوروبا الموحدة التي تسيطر عليها المانيا. وقد تم تبني افكاره التي نشرها في كتابه من قبل القيادة الالمانية الجديدة التي تولت الحكم بعد هزيمة المانيا في الحرب العالمية الأولى. وأصبح الموجه لسياسة القيادة الألمانية النازية، الراغبة في مد حدود المانيا وزيادة رقعتها الجغرافية لتضم كافة انحاء اوروبا.

ثانيا. نظرية الدورة الدائرية في حياة الدول

A Cycle Theory of the Development of States

لقد سبق واشرنا الى ان اول من اوجد هذه النظرية هو العالم العربي ابن خلدون، الذي اشار الى ان الدول تمر اثناء دورة حياتها في مراحل تبدأ بالطفولة، ثم الشباب، فالشيخوخة. وقد اوضح ابن خلدون ان الدول قد تنتهي وتموت بعد مضي مرحلة الشيخوخة، وقد تتجدّد مرة اخرى في حال ظهور قيادة حيوية قوية، او مصادر وثروات جديدة.

وحديثا ظهرت هذه النظرية مرة اخرى عام ١٩٣٩، على يد صموئيل فان فالكنبرغ Samuel Van Valkenburg ومن بعده الجغرافي الروسي مودلسكي. وضمن هذا المفهوم، اي الدورة الدائرية كتب الجغرافي الامريكي وليم موريس ديفز William Morris Davis عن الدورة الدائرية لاشكال سطح الارض. وقد تاثر كل من ديفز وفالكنبرغ بافكار داروين الحتمية. فطبّق الأول الحتمية البيئية على الاشكال الارضية لسطح الارض، بينما استخدمها الثاني لوصف حياة الدول.

وقد ميّز فالكنبرغ بين اربعة مراحل متعاقبة في حياة الدول هي: مرحلة الطفولة Youth حيث تهتم فيها الدول بالتنظيم الداخلي، وتعزيز فكرة الدولة، وخلق اهداف ومبادئ مشتركة تجمع فئات الشعب، وتربطهم مع بعضهم، وتجمعهم حول القيادة. ومرحلة المراهقة Adolescence التي تسعى الدول خلالها نحو التمدد والتوسع الجغرافي، والرغبة في مد النفوذ السياسي والعسكري على اقاليم وشعوب مجاورة. وهنا تكون الدول قد انتهت من عمليات التنظيم الداخلي، وبدأت تتطلع نحو الخارج. ومرحلة النضج Maturity التي تعود فيها الدولة لتنظيم شؤونها الداخلية، وادخال التعديلات والاصلاحات، وتطوير القوانين والنظم لمصلحة المواطن. وهي مرحلة استقرار سياسي واقتصادي في حياة الدول. ومرحلة الشيخوخة Old Age التي تركّز فيها الدول على التعاون الدولي، واقامة علاقات صداقة وتعاون مع الدول الاخرى. وفي مراحل متقدمة تبدأ عوامل الضعف، والتفكك تدب في الدول التي تمر في هذه المرحلة. وفيها تبدأ الدول بخسارة بعض اقاليمها الجغرافية لصالح الدول القوية.

ويشير صاحب النظرية انه ليس بالضرورة ان تمر الدول في كل هذه المراحل، كما انه ليس بالضرورة ان تموت الدول وتنتهي اذا انهت المرحلة الرابعة، او مرحلة الشيخوخة. فقد يتم وقف دورة النمو في اي مرحلة من مراحل النمو. ويورد الباحثون الدول العربية النفطية كمثال على الدول التي انهت مرحلة الشيخوخة، وتجدّدت من خلال توفر الايرادات النفطية الضخمة التي اعادت لها شبابها وحيوتها، وانطلقت مرة اخرى في الدورة الدائرية في حياة الدول.

ثالثا. نظرية الحقل الموحد Unified Field Theory

صاحبها الجغرافي ستيفن جون Stephen B. Jones، الذي حاول ربط افكار بعض الجغرافين مثل هارتشورن، وويتلسي، وجين جوتمن، المتعلقة بنمو وتطور الدول، ونشرها في مقال بعنوان نظرية الحقل الموحد في الجغرافيا السياسية عام ١٩٥٤ "Unified Field Theory of Political Geography". وترى النظرية ان الدول اثناء نموها وتطورها تمر بخمسة مراحل هي: الفكرة، والقرار، والحركة، والحقل، والمنطقة.

والفكرة Idea هي المبدأ السياسي (الايديولوجية) التي تتولد وتنمو عند مجموعة من القياديين لاقامة دولة. ومن الأمثلة على ذلك افكار السيطرة الاستعمارية على دول العالم النامي، والافكار النازية في السيطرة على اوروبا، والافكار اليابانية في السيطرة على شرق آسيا، و فكرة الحركة الصهيونية في اقامة دولة (اسرائيل) على ارض فلسطين. اما القرار Decisions فهو قرار السيطرة او احتلال اقليم جغرافي لتحقيق الفكرة. ومن الأمثلة على ذلك القرار الذي اتخذه وزير خارجية بريطانيا بلفور عام ١٩١٧، والذي وعد من خلاله اليهود باقامة دولة لهم في فلسطين. وكذلك قرار هتلر بغزو الدول المجاورة لألمانيا قبيل الحرب العالمية الثانية. ولا بد ان يتلو عملية اتخاذ القرار، الحركة Movement التي هي حركة الناس او الجيش، او حركة المهاجرين والبضائع والافكار. ومثال على هجرة اليهود من كافة اقطار العالم الى لفلسطين، وحركة الجيش النازي باتجاه تشيكوسلوفاكيا وغيرها من دول اوروبا المجاورة. اما الحقل Field فهو الارض التي تقوم عليها الفكرة او تتم عليها الحركة. (فلسطين مثلا). وعند ولادة الفكرة وخروجها للواقع، تظهر المنطقة Area المنظمة سياسيا، والتي هي عبارة عن الدولة (اسرائيل مثلا، او المانيا العظمى لو قدّر لهتلر تحقيق فكرته).

رابعا. نظرية الدولة الإقليم The Territorial State

صاحبها الجغرافي جون هيرز John H. Herz الذي نشر هذه النظرية في مقالة بعنوان "ظهور واختفاء الدولة الاقليم"، Rise and Demise of the Territorial State عام ١٩٥٧.

وقد ميّز في هذه النظرية بين الدولة والقومية، ذلك ان الدولة لها اقليم سياسي، في حين قد لا يكون للقومية اقليم. فالدولة كيان سياسي، فيه سكان، وحكومة، ونظام اقتصادي، وحركة للاشخاص والبضائع والافكار، ومؤسسات تنّظم العلاقات الداخلية والخارجية. اما القومية فهي مصطلح يصف مجموعة من الناس يشتركون في ثقافة، وقيم وتاريخ. اما الدولة القومية فهي شعب له صفات مشتركة، يحكم نفسه بنفسه من خلال نظام سياسي، او دولة.

ويعتقد جون هيرز ان ظهور الدول الصغيرة كان نتيجة ظهور المشاعر القومية لدى الشعوب، ورغبة هذه الشعوب في حكم نفسها بنفسها، وامتلاك حق تقرير المصير. ويرى هيرز ان الدولة الحديثة اكتسبت اهميتها بعد اختراع البارود، والتقدم التكنولوجي في مجال التصنيع العسكري والاسلحة، وان الأمن هو اهم عنصر في الأقاليم السياسية. واعتقد هيرز ان القدرة النووية اضعفت اهمية وقدرة الدولة على حماية نفسها. وقد ادى التطور التكنولوجي في صناعة الاسلحة الى اعتماد الدول الصغيرة على الدول الكبيرة في الحماية، بسبب عدم قدرتها على امتلاك وسائل الدفاع المتطورة، ذات التكاليف العالية. ويرى هيرز ان افضل وسيلة لحماية الدولة من الخطر الخارجي هو بالتوجه الى الاحلاف والتكتلات الدولية التي قد توّفر الحماية لتلك الدول، وهذا ما اطلق عليه اسم "العالمية" Universalism. و"العالمية" حسب هيرز هو ضرورة ارتباط الدول الصغيرة مع بعضها، او مع دول كبيرة لتحقق لنفسها الحماية والامن الذي لا تستطيع توفيره بمفردها.

غير ان هيرز عاد وتراجع عن فكرة العالمية في مقالة كتبها في مجلة بوليتي عام ١٩٦٨. وقال فيها أن الاسلحة النووية لم تقضي على الدولة الصغيرة كما كان متوقعا، ولكنها استُخدمت لحمايتها. وقد تكونّت هذه القناعة لدى هيرز عندما شهد حرب فيتنام. وقد لاحظ هيرز ان دول صغيرة مثل فيتنام استطاعت الوقوف في وجه قوة عسكرية نووية هي الولايات المتحدة، دون ان تخاطر بوجودها. ومن هذا المنطلق جاء تراجعه عن مبدأ "العالمية" لحل مشاكل الدول الصغيرة. وقد نشر افكاره الجديدة في مقالة بعنوان "مراجعة الدولة الأقليم – انعكسات على مستقبل الدول The Territorial State Revisted: Reflections on the Future of the Nation State. ورأى ان الدول قد توّفر الحماية لشعوبها، وان تعيش في امان وازدهار في ظل المفاهيم والمبادئ التالية:

١. انتشار المواقف السياسية والاقتصادية المتطورة (المتحضرة) في العالم.
٢. حل جميع المشاكل الحدودية بين الدول بطريقة تُرضى جميع الدول.
٣. القضاء على الانظمة الراديكالية في العالم.
٤. الوقوف في وجه العنف، ومنع استخدامه، الا في حالات الدفاع عن النفس.

خامسا. نظرية الدولة الوظيفة

Functional Approach to Political Geography

وهي نفس المنهج الوظيفي للدولة الذي وضعه هارتشورن وناقشناه عند الحديث عن مناهج البحث في الجغرافيا السياسية. ونظرا لاهمية هذا المنهج في الجغرافيا السياسية، عُدّ احد اهم النظريات التي تفسر مراحل نمو وتطور الدول. وترى النظرية الوظيفية للدولة كما أصبحت تعرف في الجغرافيا السياسية، ان للدولة وظائف داخلية واخرى خارجية هي التي يجب التركيز على تحليلها عند دراسة الدولة. ومن الوظائف الداخلية للدولة تحقيق الرفاه والتقدم الاقتصادي، والعمل على تعزيز الروابط والصلات بين مختلف فئات الشعب في الدولة.

ويرى ريتشارد هارتشورن R. Hartshorn صاحب هذه النظرية انه يجب التركيز على دراسة وتحليل عوامل قيام الدولة ومبررات وجودها. والطرق التي تستخدمها الحكومات المختلفة في تنظيم الأقاليم السياسية الداخلية، بهدف تحقيق اكبر قدر من الولاء والتعاون مع الحكومة المركزية.

كما ركّزت هذه النظرية على دراسة الوظائف الخارجية للدولة واثرها على التنظيم المكاني للسطح الجغرافي. وتشتمل الوظائف الخارجية للدولة على وظائف سياسية، واخرى اقتصادية، وثالثة استراتيجية، تؤدي في محصلتها الى انتهاج سياسات تهدف الى تحقيق المصلحة الوطنية للدولة حسبما يفسرها القادة السياسيون. وتشتمل الوظائف الخارجية للدولة على حماية حدودها السياسية التي تعكس طبيعة السياسات والعلاقات التي تقيمها مع الدول المجاورة.

وقد ركّزت النظرية على دراسة عوامل الطرد وعوامل الجذب داخل الدول. وتتضمن عوامل الجذب، العناصر التي تجمع سكان الدولة مع بعضهم، وتعزز الروابط بينهم، مثل اللغة الواحدة، والدين، والقومية، والعادات، والتاريخ والاهداف المشتركة، واقتناع الناس بنظام الحكم وممارسات الحكومة، والتطور الاقتصادي والاجتماعي في الدولة. اما عوامل الطرد او التفكك في الدولة فتشمل تعدّد القوميات واللغات والأديان والفروق الإقليمية في النمو والتطور الحضاري والاقتصادي ...الخ.

سادسا. نظرية انماط الوحدة والتفكك

Patterns of Integration and Disintegration

تحلّل هذه النظرية التي وضعها كارل ديوتسج Karl Deutsch في مقالة عام ١٩٥٣، عناصر تطور ونمو الدول، والمراحل التي تمر بها الدولة اثناء تطورها. فالمرحلة الأولى هي:التحول من نمط الاكتفاء الذاتي في الزراعة الى نمط التبادل التجاري. حيث تتّحول الدول اثناء دورة نموها وتطورها، من مجتمع ينتج للاستهلاك، الى مجتمع ينتج الفائض من اجل التبادل التجاري. ثم تبدأ بعد ذلك مرحلة ظهور مناطق القلب او المناطق المركزية، بعد ان تكون الدول مكّونة من أماكن او اقاليم متشابهة في الأهمية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية في المراحل الأولى لتطورها. بعد ذلك تبدأ مرحلة نمو المدن وبخاصة العاصمة، وهي مرحلة متقدمة من حياة الدول، حيث تبدأ المدن الكبرى تظهر كمراكز اقتصادية وانتاجية، تساعد على الانتاج الضخم من اجل زيادة الربح. كما تبدأ العاصمة بالظهور كمركز اقتصادي، وانتاجي، وسياسي، قيادي في الدولة. ثم تبدأ وفي المرحلة الرابعة تتطور شبكة المواصلات والاتصالات، حيث تبدأ اثناء مراحل النمو والتطور تنشئ في الدول شبكات اكثر تطورا من الطرق البرية، والسكك الحديدية، والموانئ البحرية والجوية. وفي المرحلة الخامسة يبدأ الوعي الفردي لدى ابناء المجتمع بالنمو يصحبه ايمان بالدفاع عن المصالح الجماعية لابناء المجتمع الذي يشكّل ابناءه الدولة. ثم يتنامى الوعي العرقي لدى السكان مع التقدم والتطور الذي تشهده الدول. وقد يؤدي تنامي الشعور القومي لدى الشعوب التي تتكون منها الدولة الى مطالبة بعضها بالانفصال، او بحقوق وامتيازات قومية محدّدة. يتبع ذلك نمو الوعي السياسي لدى السكان،

وظهور نظام طبقي متطوّر في المجتمع، بعد ان تكون فئات الشعب مكّونة في الغالب من طبقة اجتماعية واحدة. ولذلك فإن الدول العريقة تمتاز بوضوح الفروق الاجتماعية بين الطبقات التي تشكّل المجتمع.

وخلال مراحل تطورها، تسعى الدول الى تعزيز الفروق الاجتماعية والسياسية بين السكان، وتعمل الحكومات على تعزيز التقسيمات العمالية Division of Labour. ذلك ان نمو وتطور واستمرار النظام الاقتصادي يعتمد على وجود تقسيمات عمالية متطورة. كما تعمل الدول اثناء مراحل تطورها على تنمية الشعور القومي، وابراز اهداف وطنية، ورموز قومية تجمع كافة فئات الشعب حولها. وقد يتحوّل الشعور القومي في بعض الاحيان الى رغبة لدى السكان والدولة في السيطرة، ومد النفوذ على الآخرين. وهذا ما يمكن تسميته بالشعور الاستعماري. وتسعى الدول ايضا الى استخدام المصادر الطبيعية المتاحة واستثمارها لصالح الدولة.

سابعا. نظرية النظام السياسي Political System Analysis

لقد سبق وعرفّنا النظام السياسي بأنه وحدة وظيفية مكّونه من اجزاء مترابطة ومعتمدة على بعضها، وهو عبارة عن عناصر سياسية مرتبطة ببيئة معينة. وقد ربط سول كوهين Saul Co-hen وروزنثل L. D. Rosenthal اصحاب النظرية، طبيعة النظم السياسية بالبيئة الجغرافية. فالبيئة الجغرافية هي التي تحدّد طبيعة النظام السياسي. وشجع الباحثان الجغرافيان في مقال نشراه عام ١٩٧١، بعنوان "نموذج جغرافي لتحليل الأنظمة السياسية A Geographical Model of Political Systems Analysis " الجغرافيين على ضرورة التركيّز عل دراسة العمليات السياسية Political Processes التي تفرزها النظم السياسية، وعلى ضرورة التركيّز على دراسة الآثار المكانية Spatial Expression الناجمة عن تلك العمليات. والمقصود بالآثار المكانية تلك التغييرات التي تحدث على المظهر الطبيعي والحضاري لسطح الأرض نتيجة للقرارات او العمليات السياسية التي تقوم بها الأنظمة السياسية. فالقرارات التي تتخذها الحكومات التي تشكّل السلطات التنفيذية في الدول تتباين بتباين

نظمها السياسية (رأسمالية ام اشتراكية، ديمقراطية ام دكتاتورية ...الخ). وبالطبع فإن الآثار المترتبة على تلك القرارات تتفاوت تبعا لتلك النظم.

وقد انطلق الباحثان في تحليل العمليات السياسية من النظام السياسي Political System، والنظام السياسي كيان وظيفي يتكّون من اجزاء وعناصر تتفاعل مع بعضها البعض. والنظام السياسي نتاج العمليات السياسية التي يقوم الأنسان من خلالها بتنظيم نفسه في البيئة الاجتماعية والطبيعية التي يعيش فيها. والانظمة السياسية كباقي الانظمة قد تكون مفتوحة او مغلقة. وكّون النظم السياسية مفتوحة او مغلقة يعتمد بالدرجة الاولى على القرار السياسي للحكومة المسيطرة فيها. وعلى النظم السياسية المغلقة يمكن ايراد مثال دول مثل البانيا، وبورما، والصين التي سيطرت عليها نظم سياسية انتهجت سياسات انعزالية، ابقت تلك الدول مغلقة امام الحركة الحرة للسكان والبضائع والافكار.